المعجزات: دراسة معمقة

كتب الروائي الكبير تولستوي قصة ممتعة بعنوان (النسّاك الثلاثة)، وقد قام صديقه نيقولاس رورتش بتلخيصها كما يلي:

"في إحدى الجزر عاش ثلاثة من النساك المتقدمين في السن وكانوا على درجة كبيرة من البساطة بحيث أن دعاءهم الوحيد كان على هذا النحو: "نحن ثلاثة وأنت ثالوث: اغمرنا برحمتك!" لكن معجزات كبرى تمت بفعل هذا الدعاء الساذج.

وحينما سمع أسقف تلك المنطقة قصة أولئك النساك وصلاتهم غير المقبولة، صمم على زيارتهم لتلقينهم الإبتهال الصحيح بحسب الأصول الكنسية. ولدى وصوله الجزيرة أخبر النساك أن ضراعتهم المرفوعة إلى السماء غير لائقة، وقام بتلقينهم بدلا منها العديد من الصلوات التقليدية. ولكن ما أن غادر الجزيرة حتى رأى نوراً وهاجاً يعدو في إثر سفينته. وعلى الفور أبصر وسط الضوء النساكَ الثلاثة وهم يمسكون بأيدي بعضهم ويركضون فوق الأمواج محاولين اللحاق بالسفينة وهم يصيحون:

"لقد نسينا الابتهالات التي لقنتها لنا، ونرجو أن تكررها لنا حتى نحفظها."

"لكن الأسقف الذي صعقته الدهشة هز رأسه وأجابهم في تواضع: "أيها الأعزاء، واصلوا صلاتكم القديمة!"

والآن، كيف استطاع القديسون الثلاثة السير على صفحة الماء؟

العلم الحديث لا يمتلك جواباً لغاية الآن، مع أن آفاق العقل العالمي قد اتسعت كثيراً بحلول العصر الذري بحيث أصبحت كلمة "مستحيل" أقل ظهورا في مفردات الإنسان.

وتؤكد كتب الفيدا أن العالم المادي يعمل طبقاً لقانون أساسي واحد هو (مايا) أي الخداع أو الوهم الكوني: مبدأ النسبية والثنائية. فالله هو الحياة الوحيدة وهو وحدة مطلقة لا تتجزأ. ولكي يبدو منفصلا ومتعدد المظاهر فلا بد أن يلبس قناعاً غير حقيقي. وذلك القناع الثنائي الوهمي هو مايا. ولقد أثبتت الكثير من الكشوفات العلمية الكبرى للعصر الحديث الحقيقة البسيطة التي قال بها حكماء الهند القدامى.

وقانون نيوتن للحركة الذي يقول بأن "لكل فعل هناك دائما رد فعل مضاد ومساوٍ له، وأن التأثيرات المتبادلة لأي جسمين هي متعادلة ومتقابلة في الاتجاه" يبيّن أن الفعل ورد الفعل متساويان تماماً، وأنه "من المستحيل الحصول على قوة واحدة إذ لا بد دائماً من وجود زوج من القوى المتساوية والمتضادة."

إن النشاطات الطبيعية الأساسية تفضح مصدرها الوهمي. فالكهرباء مثلا ظاهرة من الدفع والجذب، وإلكتروناتها وبروتوناتها هي أضداد كهربائية.

مثال آخر: الذرة أو الجزيء الأخير للمادة هي – كالأرض – مغناطيس ذو قطبين موجب وسالب. والعالم الظاهر بأكمله يقع تحت تأثير قبضة الاستقطاب التي لا تلين. ولا يوجد قانون في الطبيعة أو الكيمياء أو أي علم آخر متحرر من مبادئ التضاد أو المقابلة الكامنة في الطبيعة أصلا.

إذاً فالعلم الطبيعي لا قدرة له على استنباط قوانين خارجة عن دائرة الوهم الكوني (مايا) الذي هو لحمة الخليقة وسداتها. الطبيعة في ذاتها هي وهم، والعلم الطبيعي مضطر للتعامل مع ظواهرها الحتمية. والطبيعة في مجالها أبدية خالدة لا ينضب معينها، وعلماء المستقبل لن يتمكنوا سوى سبر مظاهرها السرمدية الواحد بعد الآخر، في حين سيبقى العلم بالرغم من سيله المتدفق قاصراً عن بلوغ الحقيقة القصوى. فهو قادر على استنباط قوانين عالم موجود أساساً لكنه عاجز عن اكتشاف مبدع تلك القوانين وصانعها الأوحد. المظاهر العجيبة للجاذبية والكهرباء قد أصبحت معلومة، لكن أحداً لم يتمكن حتى الآن من الوقوف على ماهية الجاذبية أو الكهرباء.

والتغلب على الخداع أو الوهم الكوني هو العمل الذي أوكله الأنبياء للجنس البشري على مر العصور. فالارتفاع فوق ثنائية الوجود وإدراك الوحدة الإلهية يمكن اعتبارهما أسمى أهداف البشر. والذين يستمسكون بالخداع الكوني ينبغي لهم أن يعترفوا بقانون القطبية الحتمي من مد وجزر، صعود وهبوط، ليل ونهار، لذة وألم، خير وشر، ولادة وموت. وهذا النموذج ذو الدورات المتعاقبة يصبح ذا رتابة شديدة الإيلام بعد مرور الإنسان في بضعة آلاف من التجسدات البشرية، عندها يبدأ في التطلع بعين الأمل إلى ما وراء الوهم الكوني وقواه القاهرة.

ونزع الحجاب الوهمي يعني النفاذ إلى أسرار الخليقة. والذي يتمكن من تجريد الكون هو الموحّد بالله دون سواه. وطالما بقي الإنسان مستعبدا لأوهام الطبيعة الثنائية فلن يتمكن من معرفة الله الواحد الأحد.

الوهم الكوني (مايا) يظهر في البشر على صورة (أفيديا: عدم المعرفة أو الجهل). ولا يمكن إطلاقاً تبديد هذا الجهل عن طريق القناعات الفكرية أو التحليل، بل فقط ببلوغ الاتصال الباطني بالله (نربيكالبا صمادهي). والأنبياء والحكماء في سائر البلدان وفي جميع العصور نطقوا من وحي ذلك الوعي. فيقول النبي "وجاء بي إلى باب الهيكل الشرقي فإذا بمجد الله جاء من طريق الشرق، وصوته كصوت مياه غزيرة والأرض تلألأت من مجده." فعن طريق العين المقدسة في الجبهة (الشرق) يبحر اليوغي بوعيه إلى الوجود الكلي منصتاً للكلمة أو الصوت المقدس أوم (صوت المياه الكثيرة): اهتزازات أو أمواج الضوء التي هي جوهر الحقيقة الفريدة للخليقة.

ومن بين مليارات الأسرار الكونية فإن الضوء هو أغربها وأعجبها. فعلى نقيض أمواج الضوء التي يلزمها إما الهواء أو موصل آخر للانتقال، فإن أمواج الضوء تخترق بسهولة الفراغ الموجود بين النجوم. وحتى الأثير الافتراضي الذي يعتبر موصلا للضوء بين الأجرام السماوية في نظرية التماوج، يمكن استثناؤه بحسب مفهوم إينشتاين حيث أن الخواص الهندسية للفضاء تجعل نظرية الأثير غير ضرورية. وحتى عند أخذ الفرضيتين في الاعتبار يبقى النور – من حيث الاعتماد على المادة – أكثر الأشياء شفافية من أي مظهر آخر من مظاهر الطبيعة.

وبمفاهيم أينشتاين الجبارة فإن سرعة الضوء البالغة ١٨٦٠٠٠ ميلاً في الثانية تحكم نظرية النسبية بأسرها. وقد أثبت بكيفية رياضية أن سرعة الضوء بالنسبة لعقل الإنسان المحدود هي الأمر الثابت الذي لا يتغير في كون دائم التغير والتقلب. وعلى سرعة الضوء "المطلقة" تستند وتعتمد كافة مقاييس البشر المتعلقة بالزمان والفضاء. فليس الزمان والفضاء أزليين أبديين بحسب تخمينات الإنسان السابقة، بل هما عاملان نسبيان ومحدودان، يستمدان صحة قياسهما المشروطة فقط من صلتهما بسرعة الضوء. وبضمّ الفضاء كنسبية ذات أبعاد يمكن حصر الزمان بطبيعته الأصلية: جوهر بسيط من الغموض. وهكذا بجرة بسيطة من قلمه ألغى أينشتاين من الكون كل حقيقة ثابتة باستثناء حقيقة الضوء!

وفي تطور تالٍ هو نظرية المجال الموحّد، يجمع هذا الرياضي البارع في قانون حسابي واحد كافة قوانين الجاذبية والكهرومغناطيسية. وباختزال التركيب الكوني إلى تغيرات في قانون واحد، يتخطى إينشتاين

الأجيال ليتواصل مع الحكماء الهنود الذين نادوا بفكرة نسيج أوحد للخلق هو الوهم الكوني الدائم التقلب والتلون واتخاذ الأشكال المتباينة بسرعة فائقة.

وعلى نظرية النسبية الملحمية قامت الاحتمالات الرياضية لاستكشاف مجاهل الذرة. وهناك العديد من العلماء الذين يؤكدون اليوم بقوة أن الذرة ليست نشاطاً غير مادي وحسب، بل أن النشاط الذري هو بالضرورة مادة عقلية.

ويقرر السر آرثر ستانلي أدنغتون في كتابه (طبيعة العالم المادي) أن "المعرفة الصريحة بأن العلم الطبيعي متعلق بعالم من الظلال هي من أبرز وأهم ضروب التقدم. ففي عالم الطبيعة نلاحظ جهاز تحليل الظل يؤدي دراما الحياة المألوفة. فظل ذراعي يستقر على ظل المائدة، كما يسيل ظل الحبر فوق ظل الورق. كلها رموز، وكرموز يتركها عالم الطبيعة. ثم يأتي العقل ليحلل ويحوّل الرموز... والاستنتاج الصريح دون تزويق أو تنميق هو الآتي: مادة العالم هي ذات جوهر عقلي."

ومع التصميم الحديث للميكروسكوب الالكتروني تأكد بالدليل القاطع أن جوهر الذرات هو نور وأن الطبيعة قائمة أصلا على ثنائية لا مفر منها. وأوردت صحيفة نيويورك تايمز التقرير التالي عن تجربة أجريت سنة ١٩٣٧ على الميكروسكوب الالكتروني أمام الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم:

"إن التركيب البلوري المعدني للتنغستون والمعروف لغاية الآن بطريقة غير مباشرة بالأشعة السينية ظهر بوضوح على ستارة فلورية تعكس الإشعاع على شكل ضوء، مبيناً تسع ذرات في مواقعها الصحيحة في الشبكة الفضائية، ومكعباً مع ذرة واحدة في كل زاوية، وواحدة في الوسط. وظهرت الذرات في الشبكة البلورية على الشاشة الفلورية كنقط من الضوء منسقة كنموذج هندسي. ومقابل هذا المكعب البلوري للضوء شوهدت جزيئات الهواء القاذفة كنقط متراقصة من الضوء تشبه نور الشمس المتلألئ على المياه الجارية...

"لقد تم اكتشاف مبدأ الميكروسكوب الإلكتروني لأول مرة سنة ١٩٢٧ على يد الدكتورين كلينتون ج. دافيسون وليستر إتش. جيرمر في مختبرات بيل الهاتفية بمدينة نيويورك. وقد وجدا أن للإلكترون شخصية مزدوجة، بحيث يتقلد صفات الذرة والموجة في آن واحد (أي صفات المادة والطاقة أو النشاط)، مما أعطى صفة الموجة للإلكترون خاصية الضوء. وقد تم الشروع في بحث لاستنباط وسيلة 'لتركيز' الإلكترونات بكيفية مشابهة لتركيز الضوء بواسطة العدسات.

"وبفضل اكتشافه لخاصية الإلكترون المزدوجة التي تثبت... أن الطبيعة المادية بأسرها هي ذات شخصية مزدوجة، فقد حصل الدكتور دافيسون على جائزة نوبل في الفيزياء."

وكتب السير جيمس جينز في كتابه أن "تيار المعرفة يتجه نحو حقيقة غير مادية. فالكون بدأ يظهر كعقل عظيم لا كآلة عظيمة."

وهكذا يبدو علم القرن العشرين كصفحة من كتب الفيدا القديمة.

فليدرك الإنسان من العلم الحقيقة الفلسفية الأكيدة أن لا وجود لكون مادي، لأن نسيج الكون المادي هو وهْمٌ، وبأن حقيقته السرابية تتبدد بالتحليل. ومع انهيار دعائم الكون المادية تحته، الواحدة بعد الأخرى، يدرك الإنسان تدريجيا مدى تعديه للوصية الإلهية: "لا يكون لك آلهة أمامي" و"لا إله إلا الله."

وفي معادلته الشهيرة التي تبين التعادل بين المادة والطاقة، أثبت إينيشتاين أن الطاقة في أية ذرة من المادة تساوي كتلتها أو وزنها مضروباً في مربع سرعة الضوء. ويتم إطلاق القوى الذرية عن طريق إفناء الجزيئات المادية. وهكذا فإن "موت" المادة هو ولادة العصر الذري.

إن سرعة الضوء هي قانون حسابي أو مقدار ثابت، ليس لأن هناك حقيقة مطلقة في الـ ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية، بل لأنه لا يوجد جسم مادي تزيد كتلته تبعا لسرعته يمكن أن يبلغ أبدا سرعة الضوء. وبتعبير آخر فإن الجسم المادي ذا الكتلة غير المتناهية هو الذي يمكن أن يعادل سرعة الضوء.

وهذا المفهوم يأتي بنا إلى قانون المعجزات.

فالمعلمون الذين يستطيعون تجسيد أو تبديد أجسامهم أو أية مادة أخرى وكذلك الانطلاق بسرعة الضوء واستخدام أشعة النور الخالقة في إحداث أي مظهر مادي، قد استوفوا الشرط الضروري الذي قال أينيشتاين بوجوبه: كتلتهم هي غير متناهية.

ووعي اليوغي المستكمل متحد دون مجهود لا مع الجسم الصغير المحدود بل مع التركيب الكوني العام. والجاذبية سواء كانت (القوة) التي قال بها نيوتن أو (مظهر القصور الذاتي) الذي قال به إينيشتاين، لا قدرة لها على إرغام المعلم المستنير كي يظهر خاصية الثقل التي هي شرط الجاذبية الذي يميز كل الأجرام المادية. فالشخص الذي عرف أنه روح كلي الوجود لم يعد خاضعاً لصلابة الجسم سواء في الزمان أو المكان. وهكذا فإن التماسك الصلب غير النافذ قد اخترقه محلول التوحد الإلهي.

"الله نور السموات والأرض" و"قال الله ليكن نور". ففي خلق الكون أتى الأمر الإلهي الأول للوجود بالعنصر البنيوي الحيوي وهو النور. فعلى أشعة هذا الوسيط اللا مادي تحدث كل الظواهر والمظاهر الإلهية. ويشهد المتعبدون على مر العصور بالظهور الإلهي كتوهج وكنور: "عيناه كلهيب نار... ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها" (رؤيا ١٦: ١-١٤) "نور على نور." (الآية).

واليوغي الذي استطاع بالتأمل أن يمزج وعيه بالله يدرك الجوهر الكوني كنور "اهتزازات من نشاط الحياة." وتنعدم الفوارق بالنسبة له بين أشعة الضوء المكونة للماء وأشعة الضوء المكونة لليابسة. فإن تحرر من الإحساس بالمادة ومن أبعاد الفضاء الثلاثة، ومن البعد الرابع وهو الزمن، يستطيع المعلم من نقل جسمه النوراني بسهولة فوق الأشعة الضوئية للتراب والماء والنور والهواء. والتركيز الطويل على العين الروحية (بوابة التحرر) يمكّن اليوغي من تبديد أوهام المادة وثقلها الجاذب، ويرى الكون حسبما خلقه الله: كتلة من النور لا تمايز فيها. "فإذا كانت عينك (وحيدة) فجسدك كله يكون نيّرا.

ويقول الدكتور أل. تي. ترولاند من جامعة هارفارد: "أن الصور البصرية قائمة على نفس مبدأ النقوش العادية. فهي مكونة من نقاط أو خطوط متناهية في الدقة لا تستبينها العين... وحساسية الشبكية قوية لدرجة أن الإحساس البصري يمكن استحداثه نسبياً ببضع وحدات من النوع الصحيح للضوء."

ويمكن لأي إنسان أن يستخدم قانون المعجزات عندما يدرك أن جوهر الوجود هو نور.

أثناء الليل يدخل الإنسان وعي الأحلام وينجو من المحدوديات الذاتية الزائفة التي تكبله يوميا. ففي النوم لديه برهان دائم الحدوث على ما يمتلكه عقله من قدرة كلية. إذ في الحلم يظهر الأصحاب الذين فارقوا منذ زمن بعيد، مثلما تبدو القارات النائية ومشاهد الطفولة المبتعثة من جديد. وهذا الوعي المتحرر وغير المحدود الذي يختبره الجميع لفترة وجيزة في أحلامهم هو وعي يختبره المعلم المتناغم مع الله على الدوام، دون انقطاع.

واليوغي إذ يتحرر من الدوافع الذاتية ويستخدم القوة الخالقة التي منحها له الخالق يعيد صياغة ذرات الضوء الكونية لتحقيق أي رغبة مخلصة للمريد.

"وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وكل ما يدبّ على الأرض."

ولهذه الغاية خُلق الإنسان وخُلقت الخليقة: لكي يسمو فوق الوهم الكوني ويدرك سيادته على الكون.

في سنة ١٩١٥ بُعيد التحاقي بسلك السوامي شاهدت رؤيا غريبة عرفت من خلالها نسبية الوعي البشري، وأدركت جلياً بواسطتها وحدة النور الأزلي خلف ازدواجيات الأوهام الأليمة. وقد جاءتني تلك الرؤيا حينما كنت أتربع للتأمل ذات صباح في غرفتي العليا الصغيرة في منزل والدي على شارع غوربار. وكان قد مضى على اشتعال نيران الحرب العالمية الأولى في أوربا بضعة شهور وكنت أتأمل بحزن العدد الهائل للنفوس التي حصدها منجل الموت.

وعندما أطبقت عينيّ في التأمل انتقل وعيي فجأة إلى جسم قبطان يقود بارجة حربية. وكان دوي المدافع يشق الهواء في تبادل للقذائف بين مدافع البارجة ومدافع الشواطئ. وصدمت قذيفة ضخمة مخزن البارود ومزقت بارجتي فقفزت إلى الماء مع البحّارة القليلين الذين سلموا من الانفجار.

وبقلب شديد الخفقان بلغت الشاطئ بسلام، لكن وا حسرتاه! فقد أنهت طلقة طائشة طيرانها بالاستقرار في صدري، فسقطت متأوها على الأرض وقد شُل جسمي بكامله. ومع ذلك فقد بقيت أشعر بامتلاكه كما يحس المرء بساق أصابها الخدر. ثم انتابني شعور غامض بأن خطوات الموت قد أدركتني في النهاية. وبتنهدة أخيرة عندما أصبحت على وشك الاستغراق في الغيبوبة وجدت نفسي متربعاً في وضع اللوتس في الغرفة بشارع غوربار.

وانهمرت دموع هستيرية من عينيّ عندما لمست وقرصت بفرح أطراف جسمي الذي استرجعته خالياً من ثقوب الرصاص في الصدر. وانحنيت للأمام وللخلف مرات عديدة وأنا أشهق وأزفر لأؤكد لنفسي أنني ما زلت على قيد الحياة. وفي غمرة هذه التهاني الذاتية انتقل وعييّ مرة ثانية إلى جسم القبطان الميت الملقى بجانب الشاطئ الملطخ بالدماء. فاضطربت وصليت لله قائلا: "يا رب، هل أنا ميت فعلا أم لا زلت على قيد الحياة؟"

وغمرت ومضة من النور الأفق بكامله، وصاغ اهتزاز خفيض ذاته بكلمات قائلا:

"وما الحياة أو الموت بالنسبة للنور؟ لقد خلقتك على صورة ضيائي، ونسبيات الحياة والموت تخص الحلم الكوني. هيا تطلع إلى كيانك غير الحالم! استيقظ يا بني. استيقظ!"

وكخطوات في سبيل إيقاظ الإنسان يلهم الله العلماء في الزمان والمكان الملائمين لكي يتوصلوا إلى معرفة أسرار خليقته. وكثير من الاختراعات العصرية تعين الإنسان على فهم الكون كتعبيرات متباينة لقوة واحدة هي النور الذي يوجهه العقل الإلهي. وترتكز عجائب الصور المتحركة والراديو والتلفزيون والرادار والخلية الكهربائية الضوئية و "العين الكهربائية" العجيبة للقوى الذرية على ظاهرة النور الكهرومغناطيسية.

وفن الصور المتحركة يمكن تصوير أية معجزة. ومن الوجهة النظرية المؤثرة لا توجد معجزة مستحيلة على خديعة التصوير الشمسي. فالإنسان يمكن رؤيته كجسم أثيري شفاف وهو ينهض من جسمه المادي الكثيف ويمشي على صفحة الماء، ويقيم الموتى ويعكس السير الطبيعي لضروب التقدم، ويشيع الفوضى والاضطراب في الزمان والمكان. وإذ يرتب الأشكال الضوئية طبقاً لرغبته يستطيع المصور إحداث عجائب بصرية يأتي بها المعلم المستنير باستخدام أشعة النور الفعلية.

والأفلام السينمائية بصورها الحية والناطقة توضح حقائق عديدة متعلقة بالخلق. فالمدير الكوني دوّن رواياته ووزع الأدوار الهائلة لمواكب الأجيال. وهو يسكب من حجرة الأزل المعتمة شعاع ضيائه في أفلام الأجيال المتعاقبة فتنعكس الصور على شاشة الفضاء. وكما أن ظلال الصور السينمائية تظهر حقيقية مع أنها كتل من الضوء والظل، هكذا التنوع الكوني ليس سوى وهم ظاهر. وليست المناطق الكوكبية بأشكالها غير المتناهية للحياة سوى صور سينما كونية تبدو حقيقية وقتياً للمدركات الخمس الحسية كمناظر يعرضها الشعاع اللانهائي للخالق على الستارة المصغرة للوعي البشري.

والمتفرجون في السينما باستطاعتهم أن ينظروا إلى أعلى ويروا أن جميع الصور يحدثها شعاع واحد من النور عديم الشكل. وتصدر الرواية الكونية الملونة بالمثل عن النور الأبيض الواحد كمصدر كوني. وبمهارة لا تدركها العقول يقيم الله مسرحاً هائلا لتسلية بنيه البشر جاعلا منهم ممثلين ومتفرجين في مسرحه الكوني.

دخلت ذات يوم إحدى دور السينما لمشاهدة فلم للمعارك الأوروبية. كانت الحرب العالمية الأولى ما زالت مستعرة في الغرب، وقد صور الفلم المذابح بكيفية واقعية جعلتني أغادر المسرح بقلب كسير. وتضرعت إلى الله قائلا: "لماذا تسمح يا رب بمثل هذه الآلام؟"

ولشدة دهشتي جاءني الجواب على شكل رؤيا للمعارك الأوروبية الفعلية. وقد امتلأت المناظر بالموتى والمحتضرين بكيفية فاقت كثيراً بوحشيتها أي تمثيل.

وتكلم صوت رقيق إلى وعيي الداخلي قائلا: "دقق النظر وسترى أن هذه المناظر التي تحدث الآن في فرنسا ليست سوى لعبة من النور والظلال. وهذه الصور الكونية المتحركة هي حقيقية وغير حقيقية كفلم السينما الذي شاهدته قبل قليل: مسرحية في قلب مسرحية!"

ولم يتعزّ قلبي فواصل الصوت المقدس حديثه:

"إن الخليقة هي نور وظل معا، وإلا لاستحال الحصول على الصور. فالخير والشر سيتناوبان على السيادة دوما. وإن استمر الفرح بغير انقطاع على هذه الأرض أفلا يرغب الإنسان بشيء آخر؟ وبدون الألم قلما يهتم بتذكّر مقره الأزلي. فالألم حافز للتذكّر والحكمة وسيلة للخلاص! إن مأساة الموت ليست حقيقية، والذين يرتعبون منها يشبهون الممثل الأحمق الذي يموت رعباً على المسرح لمجرد إطلاق فشك فارغ عليه. إن أبنائي البشر هم أبناء النور ولن يظلوا نائمين في الأوهام أبد الدهر."

ومع أنني قرأت النصوص المقدسة عن الخداع الكوني غير أنها لم تعطني الفهم العميق الذي حصلت عليه من تلك الرؤيا وما صاحبها من كلمات عزاء. فموازين الإنسان تتغير كثيرا عندما يقتنع في النهاية بأن الخليقة هي صور متحركة على نطاق واسع، وأنه ليس في داخلها بل ما وراءها تكمن حقيقته.

وحينما فرغت من تدوين هذا الفصل تربعت على فراشي في وضع اللوتس. وكان يضئ حجرتي مصباحان خافتان. وإذ رفعت بصري إلى أعلى لاحظت أن السقف كان منقطاً بأضواء صغيرة بلون الخردل تومض وتتراقص بلمعان الراديوم. وتجمعتْ في قرص شفاف آلاف الأشعة الساطعة كصفحات من المطر وانسكبت بسكون فوقي.

وعلى الفور فقد جسمي المادي خشونته وتحول إلى نسيج أثيري. وشعرت بإحساس غريب عندما تمايل جسمي العديم الوزن إلى اليسار واليمين وكان بالكاد ملامسا للفراش. فتطلعت حولي داخل الحجرة ورأيت الأثاث والجدران على حالها. إلا أن كتلة النور الضئيلة تضاعفت بحيث أصبح السقف غير منظور، فصعقت دهشة.

وتكلم صوت كما لو كان صادراً من قلب النور قائلا: "إن هذا هو جهاز الصور الكونية. فهو إذ يسلّط شعاعا على الستارة البيضاء لغطاء فراشك فإنه ينتج صورة جسمك. انظر، فشكلك ليس سوى نور!"

ونظرت إلى ذراعيّ وحركتهما إلى الأمام والخلف فلم أحس بثقلهما فغمرني سرور فائق. وبدا الفيض الكوني للنور الذي تكثف إلى شكلي الجسدي صورة مقدسة مطابقة تماما لأشعة الضوء التي تنبعث من جهاز عرض الصور – في دار السينما – لتنعكس صوراً على الشاشة.

واختبرت لوقت طويل صورة جسمي المتحركة على المسرح المعتم لحجرة نومي. ورغم الرؤى العديدة التي حصلت عليها فلم يكن أي منها أكثر غرابة من تلك الرؤيا. وإذ تبدد كلياً الوهم المتعلق بالجسم الصلب وتعمق وعيي بأن مصدر كل الأشياء هو النور، تطلعت إلى تيار الحياة النابض وقلت متوسلا:

"أيها النور الأقدس هل لك أن تسترد لذاتك صورة جسمي هذا، تماماً كما رُفع النبي إيليا (الخضر) إلى السماء في مركبة نارية؟" وتبيَّنَ أن تلك الصلاة كانت في غير محلها. إذ تلاشى الشعاع واستعاد جسمي وزنه العادي وغاص في الفراش. وتراقصت الأضواء اللامعة للسقف ثم اختفت، لأن موعد رحيلي عن هذا العالم لم يكن على ما يبدو قد حان بعد.

المصدر: مذكرات يوغي: السيرة الذاتية

بقلـــم: برمهنسا يوغانندا

ترجمة حديثة منقحة: محمود عباس مسعود